

ملاحق ثقافة الماء بالجنوب المغربي من خلال معجم المصطلحات المائية الأمازيغية

فاطمة فائز

جامعة ابن زهر

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير

مقدمة

اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير والتواصل فحسب، بقدر ما هي حامل للثقافة ووعاء للفكر ومرآة لهوية المجتمع ولنمط تفكيره وعيشه، وفي هذا السياق يأتي هذا المقال حول ملاحق ثقافة الماء بالجنوب المغربي من خلال المصطلحات المائية الأمازيغية. فهو محاولة ترمي إلى تسليط الضوء على الغنى المعجمي الذي تتميز به مناطق الجنوب المغربي، والذي يعكس غنى التجربة الإنسانية، وغزارة المعرفة والخبرة التي راكمتها ساكنة هذه المناطق عبر اتصالحهم بعنصر الماء عبر الزمن.

عرف هذا المجال، الذي تتجاور فيه تنوعتان لغويتان من التنوعات الأمازيغية، ثروة لغوية مهمة تضم كمّاً هائلاً من المفردات المرتبطة بالماء، تعكس رمزيات الحياة والخصوبة والتطهير التي شحنت بها هذه المادة الحيوية التي لطالما كانت محط تقديس، وشكلت مدار عدد من الطقوس المؤنثة للنسق الثقافي المحلي. وعليه فإن جمع هذه المصطلحات بالغ الأهمية لما سيكون له من تأثير مباشر على اللغة الأمازيغية المعاصرة؛ ولما سيسببها من قيمة مضافة للمعجم الأمازيغي، عبر استدعاء المعجم التراثي وشحنه بمعاني جديدة ضمن توظيفات معاصرة.

وتسعى هذه الدراسة للمساهمة في جمع المعجم الأمازيغي المائي وتوثيقه، وإنقاذ المصطلحات التي خرجت من نطاق التداول من الاندثار. وتدوين جانب من التراث الأمازيغي المتعلق بثقافة الماء من طقوس ومعتقدات وخبرات ومهارات تمت مراكمتها عبر الزمن. كل هذا من أجل مد اللغة الأمازيغية بمعجم أصيل لدعم تقدمها وتعزيزه، نظراً لما يحظى به المعجم من مكانة وأهمية في تطور اللغة.

1- الحس التشاركي في تدبير الثروة المائية والمجال المسقي

تتسم ثقافة الماء في الجنوب المغربي بحس تشاركي واضح، ذلك أن القبيلة بكل مؤسساتها وقوانينها تنبهي لتدبير كافة القضايا المتصلة بالمياه. وتعنى هذه المؤسسة التشاركية بتدبير الثروة المائية والمجال المسقي إلى جانب الأمن والمراعي، سواء على المستوى الداخلي (بين مختلف فروع القبيلة) أو على المستوى الخارجي (مع القبائل المجاورة التي تتقاسم معها المجال نفسه بخيراته وموارد المائية).

ومما يعزز مبدأ التشارك هذا سن قانون عربي عام¹ يشرع الحقوق والواجبات ويحدد العقوبات والإجراءات الزجرية تجاه المخالفين؛ ويضمن انحراط الأفراد في النظام العام². وانتخاب مشرف عام³ يتولى تدبير مختلف شؤون القبيلة في حالتي السلم والحرب، بما في ذلك تدبير الثروة المائية والمجال الأخضر. بالإضافة لانتخاب أو تعيين مجموعة من المساعدين الذين يمثلون كافة فروع القبيلة، كما يمثلون أنفسهم باعتبارهم أيضا من مالكي الحقوق المائية. فضلا عن المشرفين المباشرين عن توزيع المياه وعن تدبير المجال الأخضر وعدد من المساعدين بما في ذلك الخبراء وأعوان التنفيذ الذين تتوافق عليهم "الجماعت" استنادا إلى خبرتهم وأمانتهم.

ويشترط في هؤلاء الشركاء المعنيين بتدبير هذه الملفات أن يبلغوا سن الرشد، وأن يعرفوا بين الناس بالاستقامة والأمانة، وأن يكونوا عارفين بأحوال الناس وبحقوقهم، ملمين بقواعد "أزرف"، ومنتمين لأحد فروع القبيلة⁴، بالإضافة لشرط الذكورة، الذي وإن لم يكن منصوبا عليه بشكل صريح إلا أنه شرط أساسي بحكم العادة. ويؤدي هؤلاء المشرفون مهامهم بشكل تطوعي⁵، ويحظون في القبيلة بقيمة اعتبارية، تحول لهم إنفاذ القانون إزاء المخالفين له.

¹ يسمى القانون العربي "أزرف" وتعرف قواعده في مجال تداول تاشلحيت بصيغة "لوح/ لالواح" فيما تعرف قواعده في مجال تداول تمازيغت بصيغة "ناعقيدت/ تيعقيدن".

² يشير العبدلاوي إلى هذا الأمر من خلال تأكيده على الجانب النفعي في الأعراف، والذي يتجلى في مساهمتها في تشكيل الوعي الجمعي المتحكم في ضبط سلوكيات الأفراد بشكل شعوري واعي أو بشكل لا شعوري وغير مدرك. العبدلاوي، إدريس العلوي، دور العرف والعادة في إنشاء القاعدة القانونية، سلسلة الندوات حول العادات والتقاليد في المجتمع المغربي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مراكش 2007، ص 166.

³ ينتخب هذا المشرف العام (أمغار) بالتناوب بين كل فروع القبيلة، ولا يشارك الفرع الذي يرشح المشرف من بين أفراد في عملية الاختيار/ الاقتراع.

⁴ لا يشترط في الخبراء وأعوان التنفيذ الانتماء إلى القبيلة أو تملك الحقوق المائية، ولكن يشترط في المقابل توفرهم على السلامة الجسدية التي تحول لهم متابعة مهامهم عن كثب.

⁵ يتقاضى الخبراء وأعوان التنفيذ مقابلا ماديا أو عينيا زهيدا يكون قد تم الاتفاق عليه مسبقا مع "الجماعت".

ويمكن تمييز هؤلاء الشركاء إلى مكلفين بالإشراف العام وهم شيخ القبيلة ومساعدوه (أمغار، أنفلوس، إمزورفا،...)، ومشرفين مباشرين وهم المعنيون المباشرين بمتابعة عمليات تدبير الثروة المائية و المجال الأخضر (أمغار ن وامن، أنفلوس ن وامن...) وخبراء وأعوان (أقران، بو تاناست، أمازال...).

- أمغار 𐤎𐤕𐤓

هو شيخ القبيلة، والمشرف العام على كل القضايا وعلى رأسها ملف الماء والمجال الأخضر. و"أمغار" لغة هو الكبير والضحيم والعظيم من الأحياء والأشياء، واصطلاحا هو الشخص ذو القيمة الاعتبارية العظيمة، يطلق هذا اللقب على الحاكم وعلى الرئيس وعلى كل ممارس للسلطة.⁶ ويحظى هذا اللقب بانتشار واسع في مختلف مناطق الجنوب المغربي.

- أنفلوس 𐤎𐤕𐤓𐤕

من الألقاب التي يعرف بها شيخ القبيلة خاصة إذا كانت مطلقة غير مرتبطة بما يخصها، ولفظ "أنفلوس" لغة من الفعل "فلس" الذي يدل على الثقة والإيمان، وفي الاصطلاح يحيل على الإنسان الماهر اللبق العارف بتقاليد الجماعة والعاقل في أحكامه.⁷ وقد يرد بصيغة الجمع "إنفلاس" ويراد به ممثلو فروع القبيلة ومساعدو "أمغار" في تدبير شؤونها، شريطة أن يرد بصيغة الجمع هذه مجردا من أي لفظ اضافي قد يحدد مجال الاختصاص. ونجد هذا اللفظ منتشرا في مناطق سوس.

- إمزورفا 𐤎𐤕𐤓𐤕𐤓𐤕

هم ممثلو فروع القبيلة ومساعدو "أمغار" في تدبير شؤون القبيلة، بما فيها الثروة المائية والمزارع والمراعي، و"إمزورفا" جمع "إمزورفو"، وهو من فعل "إزرف" الذي يعني سن ووضع قانونا.⁹ ونجد هذا اللفظ منتشرا في مناطق سوس.

- إد باب ن ومور 𐤎𐤕𐤓𐤕𐤓𐤕𐤓𐤕

هو مركب إضافي مكون من "إد باب" التي تحيل على مالك الشيء وهو هنا في صيغة الجمع، و"ن" التي تفيد النسبة، و"أمور" التي تعني الحق والنصيب من الشيء¹⁰، و"إد باب ن ومور" هم ممثلوا فروع

⁶ أزيكو، علي صدقي، نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية، 2004، ص 118.

⁷ أزيكو، علي صدقي، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁸ نجد اللفظ كذلك بصيغة "إمزورفا" بإبدال الميم نونا.

⁹ شفيق، محمد، المعجم العربي الأمازيغي، ج 2، ص 344.

¹⁰ أوردها شفيق في معجمه بدون راء "أمو"، غير أنها في الجنوب الشرقي نجدها متداولة بإثباتها "أمور". شفيق، محمد، المعجم العربي

الأمازيغي، مرجع سابق، ج 1، ص 280.

القبيلة ومساعدوا "أمغار" في تدبير شؤون القبيلة، وهذا اللفظ نجده منتشرا في منطقة تودغى بالجنوب الشرقي.

- أمغار ن وامان $\text{Amgar} \mid \text{Waman}$

هو مركب إسمي يضيف اسم "أمان" الماء إلى اسم "أمغار" الشيخ، وهو بذلك يحدد مجال اختصاص هذا المسؤول في مجال تدبير الثروة المائية. ويتداول هذا اللفظ في مناطق درعة وتودغى وتافيلالت بالجنوب الشرقي المغربي.

- أمغار ن تركا $\text{Amgar} \mid \text{Oxka}$

هو مركب إسمي يضيف اسم "تاركا" الساقية إلى اسم "أمغار" الشيخ، وهو بذلك يحدد كذلك مجال اختصاص هذا المسؤول في مجال تدبير الحقوق المائية المرتبطة بالساقية. ويتداول هذا اللفظ في مناطق درعة وتودغى وتافيلالت بالجنوب الشرقي المغربي.

- أنفلوس ن وامان $\text{Anflous} \mid \text{Waman}$

هو مركب إسمي يضيف اسم "أمان" الماء إلى اسم "أنفلوس" الشيخ، وهو بذلك يحدد مجال اختصاص هذا المسؤول في مجال تدبير الثروة المائية. ويتداول هذا اللفظ في مختلف مناطق سوس.

- أمغار ن توكا $\text{Amgar} \mid \text{Tokka}$

هو مركب إسمي يضيف اسم "توكا" الكلاء أو المروج أو العشب إلى اسم "أمغار" الشيخ، وهو بذلك يحدد مجال اختصاص هذا المسؤول في مجال تدبير المجال الأخضر، وتحديد أوقات الولوج إلى المراعي والمزارع وأوقات الامتناع عن ذلك. ذلك أن المروج تحظى بأوقات محددة ومعلومة للراحة البيولوجية بحيث يمتنع الناس عن الولوج إليها واستغلالها، وتعرف بينهم بأكدال، وقد ورد اللفظ لدى لاووست بالإضافة إلى صيغتين أخريين هما "أودال" و"أيدال"¹¹، ويتداول هذا اللفظ في مختلف مناطق الجنوب المغربي.

- أفران Afran

هو الشخص العارف بالحقوق والمقادير المائية ومواقيت ومدد جريان المياه -عكرة وصافية- خلال الفصول الباردة والحارة. واللفظ من فعل "فرن" بتريق الراء؛ الذي يحيل على عملية تنقية الجيوب من الشوائب، فكأن خبرة "أفران" ومهارته ودقة معارفه لا تعادلها إلا عملية تنقية الجيوب لما تتطلبه من دقة وانتباه لفصل الجيوب عن الشوائب. ويتداول هذا اللفظ في مناطق درعة بالجنوب الشرقي المغربي.

¹¹Laoust, 1920, P 260.

- بو تاناست ⵜⴰⵏⴰⵙⵜ ⵜⴰⵏⴰⵙⵜ

لفظ "تاناست" من "أناس" وهو النحاس، المعدن الذي تصنع منه أداة قياس الماء، وهذا المركب الإضافي يحيل على تملك هذا الخبير لأداة القياس وتمكنه منها. و"بو تاناست" هو المكلف بإحصاء الحقوق المائية وتتبع عملية توزيع الحصص على المالكين باعتماد هذه الأداة. ويتداول هذا اللفظ في مختلف مناطق الجنوب المغربي نظرا لانتشار هذه التقنية في هذا المجال على نطاق واسع.

- بو وسَّقول ⵙⴰⵕⴰⵏ ⵙⴰⵕⴰⵏ

لفظ "أسقول" مشتق من الفعل "سغل"¹² التي تعني قاس، و"أسقول" هو أداة قياس الماء المستعملة في المناطق التي يتم فيها تجميع مياه السقي في الصهاريج "أفراو" أو "تانوظفي" قبل البدء في تقسيمها وتوزيعها بين المستفيدين وفق تفاصيل دقيقة يلم بها "بو وسقول". ويتداول هذا اللفظ في مناطق باي ومسكينة وإداوتنان وغيرها من مناطق سوس.

- أمازَال ⴰⵎⴰⵣⴰⵏ

لفظ "أمازَال" مشتق من الفعل "أزَل" بترقيق الزاي؛ الذي يعني الجري كما ينم عن السعي وتحمل المسؤولية بصدق وبتفان تجاه ذوي الحقوق. وتكمن مهمة "أمازَال" في السعي ما بين الحقول والمجاري المائية حتى يتأكد من سير عملية الري بشكل سليم. ويتداول هذا اللفظ في مختلف مناطق الجنوب المغربي.

- أَكْغَاي ⴰⵕⴳⴰⵢ

لفظ "أكْغَاي" مشتق من الفعل "كَّأِي" الذي يعني الارتقاء والصعود، وهو العمل الذي يقوم به "أكْغَاي"، فهو يتحرك بمحاذاة الساقية صعودا ونزولا حتى يتأكد من عدم وجود تسرب طبيعي أو متعمد للمياه. وفيما نجد لفظ "أكْغَاي" متداولاً في مناطق باي بسوس، نجد اللفظ متداولاً بصيغة "أنْكْغِي" في تودغى بالجنوب الشرقي.

- أنْضَاف ⴰⵏⵣⴰⴼ

لفظ "أنْضَاف" مشتق من الفعل "إضوف" الذي يعني التمعن في الشيء ومراقبته عن كثب، و"أنْضَاف" هو المكلف بمهمة مراقبة المجال المسقي وزجر المنتهكين لحرمة أثناء أوقات المنع وتغريمهم بالتنسيق مع بقية المتدخلين، ويتداول هذا اللفظ في مناطق باي وأردار وغيرها من مناطق سوس.

¹² يعتبر حرفا القاف والغين من الحروف المتعاقبة في اللغة الأمازيغية.

- أمشارضو ٨٢٢٢٥٨٢٢٥

لفظ "أمشارضو" مشتق من الفعل العربي (اشتراط)، يقال "تشرط لجماعت" إذا تعاقدت مع طرف يوفر لها خدمة معينة دينية كانت (مثل إمام المسجد...) أو دنيوية (مثل الراعي...)، و "أمشارضو" هو المسؤول عن مراقبة المجال المسقي وتغريم الخارجين عن الأعراف، ويتداول هذا اللفظ في مناطق الحوز.

- أحرصى ٨٢٢٢٥٨٢٢٥

لفظ "أحرصى" مشتق من الفعل العربي "حرس"، وهو شخص توكل إليهم مهمة حراسة المجال المسقي وتتبع أوقات جواز الولوج إلى الحقول وأوقات المنع وتغريم المخالفين، وهو لفظ يتداول في مناطق درعة بالجنوب الشرقي.

2- أعراف التوزيع وآلياته

تشكل الخبرات المتراكمة في مجال تدبير الثروة المائية والمجال الأخضر، وعلى رأسها القانون العربي، مدخلا أساسيا لتدبير الندرة على مستوى الثروات، وتدبير النزاعات بين مختلف الفقاء¹³ في فضاء الجنوب المغربي الذي يطبعه الشح. وفي صدارة هذه الخبرات نجد العرف الذي يعد توليفة من القواعد التي تنظم سلوك وعلاقات الأفراد وفق معايير اجتماعية محددة ومضبوطة¹⁴، فهو الكفيل بضبط حركة الأفراد في المجال وتدبير مختلف الثروات، على رأسها الماء، وفي هذا السياق يصف إد الفقيه العرف بكونه المصدر الرئيسي لمحمل قواعد توزيع وتداول الحقوق المائية، فهو ليس محدودا في نطاق خلق الحقوق والأنصبة المائية فحسب كما يذهب إلى ذلك بعض المتخصصين في أصول الشريعة¹⁵.

إضافة إلى العرف راكمت ساكنة الجنوب المغربي عددا من تقنيات التوزيع وأدواته، وقد ساهمت دقتها ومرونتها في ضمان عدالة التوزيع بين ذوي الحقوق، سواء من حيث الحقوق المائية أو من حيث الأسهم المقدرة من الأراضي المسقية والبورية.

وتتعدد تقنيات تدبير المياه بتعدد مصادرها وآليات استخراجها وتوزيعها، وقد اشتغل بول باسكون (Paul Pascon) على عدد مهم من هذه التقنيات من مثل "الشادوف" و"الناعورة"

¹³ يصف إد الفقيه العرف بكونه ضمانة للسلم الاجتماعي وصماما للأمان ضد مختلف النزاعات التي تحدث بخصوص الموارد المائية. إد

الفقيه، أحمد، نظام المياه والحقوق المرتبطة بها في القانون المغربي، شرعا وعرفا وتشريعا، سلسلة رسائل وأطروحات جامعية رقم 6، منشورات كلية الشريعة بأكادير، الطبعة الأولى، 2002، ص 142.

¹⁴ العبدلاوي، إدريس العلوي، دور العرف والعادة في إنشاء القاعدة القانونية، مرجع سابق، ص 168.

¹⁵ إد الفقيه، أحمد، نظام المياه والحقوق المرتبطة بها في القانون المغربي، شرعا وعرفا وتشريعا، مرجع سابق، ص 148.

و"السانية" و"الأغرور" والخطارة"¹⁶. وقد راكمت ساكنة الجنوب المغربي خبرة مهمة في هذا السياق، بما في ذلك عمليات بناء وصيانة شبكة قنوات الري بشكل منتظم¹⁷، واستغلال مجال نفوذ القبائل المجاورة في إطار ما يسمى بحق المرور¹⁸، بالإضافة لمراعاة مختلف الاعتبارات الهندسية الدقيقة في تشييد القنوات والحواجر المائية، لاسيما شدة انحدار التضاريس من أجل ضمان صبيب أكبر¹⁹. ومن الألفاظ المرتبطة بهذا المحور:

- أمالو ⵎⵏⵉⵙⵓⵏ

ويعني الظل أو السفوح الظليلة، وهي من التقنيات المعتمدة خلال النهار إبان اعتماد ساكنة الجنوب المغربي الساعات الشمسية في تقدير الحقوق المائية، ففي مجال السقي تطلق على طريقة لاستعمال الظل في توزيع الحصص المائية، يوظف فيها مكان أو حائط بمواصفات دقيقة لرصد تحرك الظل واعتماد ذلك في تقسيم المدد والحصص المائية، وهذا اللفظ نجده في عدد من المناطق بالجنوب الشرقي.

- أغراب ن وأمان ⵎⵏⵉⵙⵓⵏ ⵏ ⵓⵎⵓⵏ

هو حائط مبني بتقنية الطابية وبمواصفات خاصة من حيث الطول والعرض والعلو، وقد نجده في هيئة عمود خشبي أو إسمنتي فيما بعد، يأخذان موضعهما في مكان قريب من المجال المسقي، وهما من الساعات الشمسية التي تستعمل في قياس الحصص المائية، عبر تتبع حركة الظل من علامة إلى أخرى مثبتة على الجدار أو على الأرض في جانبيه الشرقي والغربي. فتحول الظل من علامة إلى أخرى يحيل على انتهاء حصّة مائية وبداية أخرى. ونجد هذه الألفاظ متداولة بمناطق عدة من سوس منها أحواز تيزنيت ومناطق أيت واوڭڭيت.

- أسقول ⵓⵙⵓⵕⵓⵏ

هو أداة توظف لقياس الحقوق المائية في المناطق التي تعتمد تقنية جمع مياه السقي في الصهاريج ليلا قبل البدء في توزيعها على مستحقيها نهارا، وهو من الساعات المائية التي تعد أكثر دقة من نظيرتها الشمسية، ويكون عبارة عن عمود خشبي من العرعار أو غصن من النخيل بحسب المناطق، يقاس

¹⁶ Pascon, 1984, p. 13, 24, 25.

¹⁷ Ait Hamza, 2002, p. 78.

¹⁸ Ibid, P 79.

يشير أيت حمزة في نفس السياق وفي بحث آخر إلى حرص القبائل على ضمان حق المرور إما لقاء مادي أو بتوظيف سلطة روحية. النظام السقوي التقليدي وتنظيم المجال في جنوب المغرب، مجلة كلية الآداب الرباط، ع 13، ص 136.

¹⁹ أيت حمزة، محمد، النظام السقوي التقليدي وتنظيم المجال في جنوب المغرب، مرجع سابق، ص 135.

به عمق مياه الصهريج في مكان مخصص لهذا الغرض ثم يقسم إلى حصص مائية بعد قياسه بأداة مرنة هي "إفرن تاينيوت" أو ورق أشجار النخيل عبر طيه ثم إعادة بسطه؛ ثم اعتماده لوشم علامات على "أسقول". ويعد انخفاض مستوى مياه الصهريج من علامة إلى أخرى إشارة إلى انتهاء حصة مائية وبداية أخرى. ونجد هذا اللفظ متداولاً بمناطق عدة من سوس.

تأهورت +oXX%O+

ترد كذلك بصيغة "tawwurt"، وهي مجموع الملكية العقارية التي يحوزها الكانون الواحد (تاكات) من داخل القبيلة، وتشمل مجموع الأسهم من ضمن المجال المسقي والمجال البوري. وقد وردت اللفظة لدى إميل لاووست (Emile Laoust)²⁰ بصيغ ومعاني متعددة تحوم كلها حول معنى الملكية من بيت وخيمة ومدخل وباب...

- تناست +o%O+

من "أناس" وهو معدن النحاس، و"تناست" هي إناء نحاسي مقعر، تحيط به من الداخل عدة خطوط منحوتة تحيل على مقادير الحصص المائية، مع ثقب في الأسفل يسمح بمرور المياه إلى داخلها. وعادة ما يتم دعم قعر تناست بقطعة معدنية أخرى حتى لا يتآكل الثقب خلال فترة استعمالها، كما يتم فحصها وصيانتها بشكل دوري حفاظاً على نفس صبيب المياه المتدفق إلى داخل تناست.

ويقابل مدة امتلاء "تناست" بمقادير معلومة من الحقوق المائية بحسب مستوى الامتلاء (الامتلاء بالماء بشكل كامل أو إلى النصف أو الربع) وتبعاً لذلك يطلق مستوى الامتلاء على الحصص المائية للمستفيد، بحيث يقال للتعبير عن مجموع الحصص المائية للكانون (تاكات): إطاف أو غورس سنوات تناسين / كرات تناسين د وركن...، وهذا المصطلح يتداول في معظم مناطق الجنوب المغربي. وقد أورد عنه محمد المختار السوسي تفاصيل عديدة في "المعسول"، غير أنه يخلص إلى أن أصل هذه التقنية روماني وهي من بقايا آثار الرومانيين عند السوسيين²¹، دون ما تعليل لهذه النسبة.

- تيرمت +%O+

لفظ "تيرمت" مشتق من فعل "أرم" التي تعني ذاق كما تعني جرب، تطلق لغة على كل عمل يؤدي بشكل مطرد ويتكرر في أوقات محددة مثل وجبات الطعام والحقوق المائية ضمن دورة السقي، واصطلاحاً تطلق على دورة المياه التي يتوالى فيها ذؤو الحقوق وفق ترتيب معلوم يسمى في مناطق

²⁰ Laoust, op cit, p. 4.

²¹ السوسي، المختار، المعسول، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1961، الجزء 20، ص 152.

الجنوب الشرقي "C8H18"، ويتم تداول الترتيب داخل الدورة الواحدة وفق القرعة التي تسمى في مناطق الجنوب الشرقي "ΣHoi" وتسمى في مناطق سوس "Hoi+Hoi". وتنقسم "Hoi+Hoi" إلى دورة غمارية "Hoi+Hoi" وأخرى ليلية "Hoi+Hoi".

تیسوریفین

يتداول اللفظ في صيغة الجمع، يفرد على "تاسوريفت" ويعني الخطوة، وهي من التقنيات المعتمدة خلال فترة الليل في المراحل التي اعتمدت فيها ساكنة الجنوب المغربي الساعات الشمسية. وهي عدد الخطوات التي يقطع بها الخبير مسافة محددة وتعادل عددا مقدرا من "تاناسين"، كما تعادل مدة جريان المياه في اتجاه أحد الحقول أو لصالح واحد من ذوي الحقوق. وهذا اللفظ متداول في مناطق الجنوب الشرقي.

- س گ اژدان ار امان ا ا ا ا ا

ترد هذه العبارة كذلك بصيغة "ΣΟΛΗΝΟΛΙΧΑ ΧΑΙΡΕΤΙΣ"، وهي قاعدة عرفية تحدد قواعد الاستفادة من المجال المسقي استنادا إلى مبدأ العدالة، بحيث يستفيد المعنيون بالتساوي من سهمهم بالأراضي المحاذية لمصادر المياه، وسهمهم بالأراضي البعيدة عن المجال المسقي.

3- الماء طقوسيا

شكل الماء منذ القدم عنصرا مثيرا للرهبية والدهشة معا، سواء في حال الجذب أو في حال
القيض، فهو الصفاء والكدر، أو بالأحرى هو الحياة والموت، حضوره رخاء وانحساره شقاء. ولعل هذا ما
يفسر عراقة تقديس الانسان له، فالممارسات الطقوسية المرتبطة بالماء يرجعها بلفايدة²² زمنيا إلى فترات
ما قبل التاريخ ويصفها بالإرث الديني اللوي المحض²³، وما يزال الماء مركزا للكثير من الطقوس في شمال
إفريقيا، بعضها يرافق مناسبات فلاحية واجتماعية والبعض الآخر يتزامن مع مناسبات دينية²⁴. ومن هذه
الممارسات الطقوسية:

- أيروشׁ Q%CC

هو من طقوس العرس المتداولة في مناطق الجنوب الشرقي، والتي تمارس بغرض جلب البركة والحظ السعيد للعروسين ودفع النحس وسوء الطالع عنهما، وهو طقس تمارسه العروس في أول دخول لها

²² بلغايدة، عبد العزيز، إلهة الماء وعروسة المطر، مجلة زمان، العدد 10-11، سنة 2014، ص 56.

23 بلغايدة، عبد العزيز، الماء والمقدس في شمال إفريقيا ما قبل الإسلامية على ضوء النقائش، أعمال ندوة الماء في تاريخ المغرب، مطبعة

المعارف الجديدة، 1999، ص 34.

²⁴ Doutté, 1908, p.583-584.

إلى بيت الزوجية، حيث تحمل إناء به ماء سقته بنفسها من ساقية المدشر، وفق طقوس خاصة، ثم تقوم برش كل زوايا المنزل وكل مرافقه.

ولعل عملية رش الماء هذه تقوم على محاكاة المطر المخصب للأرض والباعث للحياة، فالعروس هنا وهي تحتل رمزيات الخصوبة ينتظر منها أن تنقل العدوى إلى الزرع والضرع، فلطالما اعتبر القران الإنساني محاكاة للزواج الكوني المقدس²⁵.

هذه العلاقة بين الزواج والمطر تجد لها صدى في الفكر الميثي الأمازيغي، ففي سوس ينسب المطر إلى دموع الريح الشمالية "تاگوت"، إذ يحكى أن "تاگوت" أنجبت فتاتين جميلتين، ولما بلغتا سن الزواج تزوجت إحداهما بالريح الجنوبية "ويمينگ"، والأخرى بالريح الغربية الممطرة "أتریم"، وكان زواجهما في ليلة واحدة، إلا أن "أتریم" قتل عروسه ليلة الزفاف، فبكتها أمها بكاءً شديداً، وصمم "ويمينگ" على الثأر لأخت زوجته والانتقام من "أتریم"، فاندلعت بينهما حرب ضارية انتهت بموت العروس الثانية، فازدادت محنة الأم "تاگوت" لموت ابنتيها ولبقائها وحيدة، واغرورت عيونها، وكان دمعها هو المطر²⁶.

- أمان ن تعشورت

تطلق على المياه التي يترشق بها الصبيان والفتيات خلال مناسبة عاشوراء، كما تطلق على مياه مختلف المنابع والجاري المائية، والتي تأخذ طابع القداسة صبيحة العاشر من هذا الشهر المعروف بـ"بيانو" بمناطق تودغى و"تاعشورت" بمناطق درعة وتافيلالت وأمعشور بمناطق سوس.

وقد اعتادت النساء النزول إلى أماكن التزود بالماء قبيل طلوع شمس اليوم الحادي عشر، من أجل تعبئة أوان يحفظن فيها شيئاً من ذلك الماء العجيب، لاستعماله فيما بعد لقضاء بعض أغراض السحر الأبيض العلاجية منها غالباً²⁷، فجّل الناس يعتقدون أن ماء البرك والآبار والمطفيات يتحول في هذا اليوم إلى ماء مقدس يبطل كافة أشكال السحر والنحس وسوء الطالع²⁸، ويأتي هذا الاعتقاد بقدسية مياه عاشوراء وبركتها من كون كل الآبار والغدران والبحيرات تتصل خلال هذه المناسبة بمياه البئر المكية²⁹.

²⁵ Eliade Mircea "Le sacré et le profane", 1965, p. 126.

²⁶ أسوس، محمد، دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الدراسات والبحوث 6، 2007، ص 46.

²⁷ واعراب، مصطفى، المعتقدات والطقوس السحرية بالمغرب، دار الحرف - الدار البيضاء، ط1، 2007، ص 133-134.

²⁸ Laoust, 1921, p. 53.

²⁹ واعراب، مصطفى، المعتقدات والطقوس السحرية بالمغرب، مرجع سابق، ص 134.

- أمان ن ومّتين إك++%||%٥٥

هي المياه التي يغسل بها الميت، والتي يعتقد أن خصائص الموت والفناء تنسحب عليها، وهي من أنواع المياه ذات الاستعمالات السحرية. ذلك أن ماء الاغتسال الجنائزي من شأنه أن ينقل عدوى الموت إلى من يلامس، فيغدو، رمزيا، في عداد الأموات، ويسري عليه ما يسري عليهم، فيحرم عليه كل ما له صلة بعالم الأحياء، خاصة ما يتعلق بالزواج والإنجاب، لما لهذه الأمور من رمزية تحيل على الحياة والاستمرارية.

وعليه فإن الفتاة التي تلامسها مياه الاغتسال الجنائزي، تصير مثل الأرملة المعتدة تماما، التي تحمل عدوى الموت والتي يخشى انتقالها إلى من تخالطهم³⁰، وعليها أن تحرص على مشاركة المعتدة في طقس الاغتسال الذي يتوج مرحلة العدة ويعلن عن انتهاء فترة الحداد والقطع مع عالم الموت والموتى، كما تشارك فيه كل الشابات العازبات أملا في القطع مع مرحلة العنوسة واليبوسة. فالكثير من الناس بالعديد من المناطق المغربية، مازالوا يعتقدون أن مياه الاغتسال الجنائزي وثياب الحداد تحمل نفحات سحرية، تجعل منها ترياقا فعالا ضد العنوسة وتأخر الزواج³¹.

- تاغلا ٥٥%+

هي الشاة الصغيرة التي لم يحل عليها الحول، وهي محور طقس من طقوس الاستمطار التي كانت تمارس في بعض مناطق سوس (باني)، وهو متشابه إلى حد كبير مع شكل طقس "تلغنجا"، إلا أن الدمية أو العروس الخشبية التي تحضر في طقس "تلغنجا" يتم تعويضها بالشاة الصغيرة "تاغلا". وهذا الطقس الآن في حكم المندثر ولا توجد منه إلا بعض البقايا في جهات متفرقة من سوس ببعض مناطق باني وآيت باعمران.

ولعل هذا الطقس من بقايا المعتقدات المتعلقة بالكيش، والذي كانت له مكانة خاصة عند الأمازيغ منذ فترات ما قبل التاريخ. وكان موضوعا للعديد من الإشكالات بين الباحثين³²، سواء من حيث طبيعته الألوهية أو القرابية³³ أو من حيث طبيعة الزينة التي تحفه في مشاهد الفن الصخري³⁴.

³⁰ المرجع نفسه، ص 128.

³¹ مندوب، عبد الغني، الدين والمجتمع: دراسة سوسولوجية للتدين بالمغرب، منشورات أفريقيا الشرق - الدار البيضاء، ط: 2006، ص 162.

³² من هذه الإشكالات ما أشار إليه غابريل كامبس في مقال له حول الكيش المتوج من عدم وضوح العلاقة بين الإنسان والكيش في مشاهد الفن الصخري، وكذا عدم وضوح الجهة التي يقدم إليها القران. G, 1991, p143.Camps.

³³ يشير غابريل كامبس إلى أنه بالرغم من عدم وضوح الجهة التي يتقرب إليها في مشاهد الفن الصخري، إلا أن وضعية الغنميات المتوجة خلف إنسان في وضعية تعبد، توحي بأن فعل العبادة مرتبط بمعبود آخر، والكيش ليس سوى أعطية أو قران له.

- تلغنجا ⵜⴰⵍⵎⵉⵏⴽⴰ

تعرف كذلك باسم "تيسليت ن وُجنا"³⁵ و"تسليت ن وُنزار" أو "تيسليت ن وُمان"³⁶، وهي من أهم طقوس الاستمطار³⁷. يشير لاووست إلى أنه يمارس في سياق العمل على إعادة الحياة إلى الحقول اليابسة/ الميته³⁸، ففي هذا الطقس يخاطب جموع الناس "أنزار" الذي يجسد المطر/ الزوج و"تلغنجا" التي تجسد الأرض العذراء³⁹، بحيث يراهنون على استشارة "أنزار"⁴⁰ وتحريك فعله المخصب بتقدم عروس له، أو بديل رمزي عنها (تاغنجا/ مغرفة)، فهذه الطقوس تتفق على إضفاء مواصفات العروس على تاغنجا/ المغرفة بتزيينها بالحلي وتشخيصها برسوم انسانية وحملها كعروس حقيقية في موكب مناظر لوكب الزفاف الانساني ورشها بالماء كما يتم بالنسبة لعروس حقيقية في احتفالات الزفاف الأمازيغية (تيمغريوين)⁴¹.

ورغم انتشار طقس "تلغنجا" في ربوع شمال إفريقيا، إلا أن الأسطورة المفسرة له تلاشت إلا من نسخة وحيدة دونها Genvois⁴² عن قبيلة آيت زكي بمنطقة القبائل بالجزائر ملخصها أن ملك المطر أغرم بفتاة لكنها تمنعت عنه فاستشاط غضبا وجعل النهر ينضب والماء يجف، وهو ما جعلها تندم وتجد في استرضائه، فعاد النهر إلى جريانه، واخضرت الأرض. ومنذ ذلك الحين اعتاد الناس على تقديم عروس (حقيقية أو رمزية) لإله المطر أنزار درءا لسخطه ودفعاً للقحط والجفاف.

Camps, 1987, G. 149-150, p.

³⁴ يرى غابرييل جرومان أن الشكل التزييني الذي يظهر به الكيش في مشاهد الفن الصخري قد يكون حلقة احتفائية أو شكلا تزيينيا أو رمزا لعنصر سماوي يربط بين العالمين العلوي والسفلي.

Germain, 1948, p. 99-100, G.

³⁵ باصي، روني، أبحاث في دين الأمازيغ، ترجمة هو بوشخار، دفاتر وجهة نظر رقم 23، ط1: 2012، ص 48.

³⁶ Camps, Chaker, Anzar, encyclopédie berbère, V 6, 1989, p. 795.

³⁷ يشير دوني إلى طقس ذي علاقة بالماء، دون أن يبين الاسم الذي يعرف به، يقوم على التراقش بالمياه وترديد عبارات "النو والرخا" أي المطر والرخاء.

Doutté, 1908, p. 583.

³⁸ Laoust, op cit, p.384.

³⁹ Ibid, P 384 .

⁴⁰ يشير كامبس وشاكر في بحث لهما بعنوان أنزار إلى الأسطورة المفسرة لطقس تلغنجا، التي تقوم على التقاء جنسي رمزي بين عنصر ذكوري هو أنزار وعنصر أنثوي هي تسليت ن وُنزار.

Camps, Chaker, Anzar, Encyclopédie berbère, V 6, 1989, p. 796-798.

⁴¹ محمد أسوس، دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، مرجع سابق، ص 17.

⁴² Genevois, Henri, 1976-1978 .

- تيسّي ٤٥٥٤+

هي من طقوس العرس المعروفة في مناطق سوس، والتي تمارس عبر خروج موكب مؤلف من العروسين وجموع المدعوين إلى منبع أو مجرى مائي قريب "تارگا" يشرب فيه العروسان من أيدي بعضهما البعض. ولعل هذا الطقس يجسد بصيغة ما أسطورة اللقاء الأول، إذ يحكى أن الأب والأم الأولان التقيا بمحاذاة الساقية، وتحول هذا اللقاء إلى تبادل ورغبة، فكان أول جماع بين الرجل والمرأة، ومنه تفجرت الخصوبة وتوالى الإنجاب وتولدت الحياة⁴³. فعنصر "تارگا" يتداخل فيه الطبيعي والاجتماعي بالثقافي، وذلك من خلال إحيائها بالحياة وإرواء الأرض والمحاصيل، فهي مصدر الماء ومورد الخصوبة، ومكان للاتصال بالحب والحياة، وتعبير الحاحي هي مكان لحوار الثقافة والطبيعة⁴⁴.

خاتمة

- نخلص في ختام هذا المقال إلى بعض الاستنتاجات بخصوص ثقافة الماء في الجنوب المغربي بمجاله الغربي (مجال تداول تنويع تاشلحيت) والشرقي (مجال تداول تنويع تامازيغت) منها:
- إن هذا المجال الذي يتجاور فيه وجهان من التنوعات اللهجية الأمازيغية؛ أفرز ثروة لغوية مهمة بإمكانها أن تساهم كما يقول بوكوس في استثمار اللهجة التي توسم بها الامازيغية، والانتقال بها من كونها نقطة ضعف إلى كونها عامل قوة⁴⁵.
 - يتصف نظام تدبير الثروات بالجنوب المغربي بكونه نظاما تشاركيا، ويتميز بتعدد المتدخلين ويتقاسم المهام بينهم بشكل متكامل، وإن كان هذا النظام موسوما بشكل من أشكال التراتبية الاجتماعية.
 - يتسم هذا النظام كذلك بعدالة التوزيع باعتماد أعراف صارمة في تدبير الثروات واستغلال المجال الأخضر، ويفرض الواجبات على المالكين بشكل متناسب مع حقوقهم وأنصبتهم.

⁴³ أووس، محمد، "كوكرا: في الميثولوجيا الأمازيغية"، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات الانثروبولوجية والوسيوولوجية، سلسلة دراسات رقم 9، 2008، ص 174 (نقل أسوس أسطورة التقاء الرجل الأول بالمرأة الأولى عن بدير بورديو الذي نقلها بدوره عن تاسعديت ياسين).

⁴⁴ الحاحي، رشيد، النار والأثر: بصدد الرمزي والمثخيل في الثقافة الأمازيغية"، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الدراسات والأبحاث رقم 12، 2006، ص 39.

⁴⁵ أنظر: بوكوس، أحمد، مسار اللغة الأمازيغية، الرهانات والاستراتيجيات، تعريب: ساعة، فؤاد، منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية، سلسلة الترجمة، رقم 23، الرباط 2013، ص 52.

- يتأسس هذا النظام أيضا على فرض رقابة مكثفة على مصادر الثروة المائية والمجال الأخضر، وتوزع بين رقابة ذاتية بسبب قوة وصرامة القانون، ورقابة اجتماعية بسبب تعدد المتدخلين في توزيع الثروات الطبيعية.
- تزاوج ثقافة الماء في الجنوب المغربي بين الخبرة والمعتقد، ويختلط فيها الطابع العقائدي الرمزي بالطابع العملي النفعي.

المصادر والمراجع:

- تجريات ميدانية.
- إد الفقيه، أحمد، نظام المياه والحقوق المرتبطة بها في القانون المغربي، شرعا وعرفا وتشريعا، سلسلة رسائل وأطروحات جامعية رقم 6، منشورات كلية الشريعة بأكادير، الطبعة الأولى، 2002.
- أزايكو، علي صدقي، نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الدراسات والأطروحات رقم 3، الرباط 2004.
- أسوس، محمد، "دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي" منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. مركز الدراسات الادبية والتعبير الفنية والانتاج السمعي البصري- سلسلة الدراسات والبحاث 6، مطبعة المعارف الجديدة، ط: 2007.
- أسوس، محمد، "كوكرا: في الميثولوجيا الأمازيغية، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات الانتروبولوجية والسوسيولوجية، سلسلة دراسات رقم 9، مطبعة المعارف الجديدة 2008.
- أيت حمزة، محمد، النظام السقوي التقليدي وتنظيم المجال في جنوب المغرب، مجلة كلية الآداب الرباط، ع 13.
- بلفايدة، عبد العزيز، الماء والمقدس في شمال إفريقيا ما قبل الإسلامية على ضوء النقائش، أعمال ندوة الماء في تاريخ المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، 1999.
- بلفايدة، عبد العزيز، آلهة الماء وعروسة المطر، مجلة زمان، العدد 10-11، سنة 2014.
- بوكوس، أحمد، مسار اللغة الأمازيغية الرهانات والاستراتيجيات، تعريب: ساعة، فؤاد، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الترجمة، رقم 23، الرباط.
- الحاحي، رشيد، النار والأثر: بصدد الرمزي والمتخيل في الثقافة الأمازيغية، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الدراسات والبحاث رقم 12، مطبعة المعارف الجديدة- الرباط، 2006.
- السوسي، المختار، المعسول، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1961، الجزء 20.
- شفيق، محمد، المعجم العربي الأمازيغي، أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة معاجم، ج2.
- العبدلاوي، إدريس العلوي، دور العرف والعادة في إنشاء القاعدة القانونية، سلسلة الندوات حول العادات والتقاليد في المجتمع المغربي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مراكش 2007.

منديب، عبد الغني، الدين والمجتمع: دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، منشورات أفريقيا الشرق- الدار البيضاء، ط: 2006.

واعراب، مصطفى، المعتقدات والطقوس السحرية بالمغرب، دار الحرف- الدار البيضاء، ط1، 2007.

- AIT HAMZA, M., Mutation socio-spaciale et développement local dans le versant Sud Atlasique : Dades-toudgha, Ed. Passau, 2002.
- CAMPS, G., « Animisme », Encyclopédie berbère, Vol. 5, Edisud, 1988.
- CAMPS, G., « Bélier à sphéroïde », Encyclopédie berbère, Vol. 9, Edisud, 1991.
- CAMPS, G., Les berbères : mémoire et identité, Paris, Editions Errance, 1987.
- CAMPS, G., CHAKER, S., « Anzar », Encyclopédie berbère, Vol. 6, Edisud, 1989.
- DOUTTE, E., Magie et religion dans l'Afrique du nord, typographie Adolphe Jourdan, Alger 1908.
- ELIADE, M., Le sacré et le profane, Paris, Gallimard, 1959.
- Genevois, H., « Un rite d'obtention de la pluie: la fiancée d'anzar », Actes du 2^e congrès international d'étude des cultures de la méditerranée occidentale II, Alger, Société nationale d'édition et de diffusion, 1976-1978.
- GERMAIN, G., Le culte du bélier en Afrique du Nord, Hespéris, T. 35, 1948.
- LAOUST, E., Mots et choses berbères, notes de linguistique et d'ethnographie, dialectes du Maroc, Paris, 1920.
- LAOUST, E., Noms et cérémonies des feux de joie chez les Berbères du Haut et de l'Anti-Atlas, Hespéris, T.1, 1921.
- PASCON, P., La petite et moyenne hydraulique, la question hydraulique, Rabat, 1984.